الكتابة في العراق القديم

المصطلحات المستخدمة في ورقة العمل

English	تعريب
proto cuneiform	قُبيل المسمارية (ماقبل المسمارية)
Tokens	قطع دالة
Bullae	حافظات طينية
Pictographic	تصويري
Ideographic	رمزي
Phonetic	صوّتي
Consonant	صوت مفرد
Agglutinative	"لغة" ملصقة
Determinatives	علامات دالة
Phonetic Complements	نهايات صوتية

مقدمة: الكتابة إحدى أهم طرق نقل المعلومات وتوثيقها من خلال التواصل البصري، بحيث يوضع شكل ما، يمكن لمن يراه أن يفهم المراد من وراء هذا الشكل، و إن يكن هذا التعريف مبسط جداً لما نعرفه اليوم من أنواع للكتابة وأساليبها، إلا أن العودة لبدايات الكتابة تجعلنا نقبله.

في هذا البحث نتتبع نشأة الكتابة وتطورها في بلاد الرافدين، وذلك بعرض الفرضية القائلة بنشأة الكتابة عن أنظمة العد والحساب، ثم مراحل الكتابة التي عُرفت بالمسمارية، لشكل المسمار الذي تتركه طبعة "القلم" على اللوح الطيني، ونركز على عملية تدوين اللغة الأكادية التي استمرت بلهجاتها البابلية والأشورية فترة طويلة من الزمن، وغطت مساحة جغرافية واسعة كلغة دولية للمخاطبة، مركزها بلاد الرافدين.

قراءة المسمارية

كانت بداية فك رموز المسمارية بعد قراءة الايطالي (Pietro della Valle) في العام 1621 م لخمسة رموز مسمارية مكتوبة باللغة الفارسية البسيطة على رقيم من بيرسوبوليس، وبمساعدة وجود نسخ (تفريغ) لنقوش من بيرسوبوليس أعدها الباحث (Carsten Niebuhr) في العام 1756 ، بدأت عملية فك رموز المسمارية (من اللغة الفارسية)، حيث الفضل في كشفها يعود للفلولوجي (فقيه اللغة) الالماني (Georg Friedrich Grotefend) وذلك دون معرفة مسبقة له بالخط والكتابة المسمارية، ودون نصوص موازية، فقد تمكن من في صيف 1802 من فك حوالي ثلث الاشارات الرمزية للنصوص. وقد تسنى له ذلك كون المواد المكتوبة تدور حول أمور قانونية موحدة الصيغ، و كثيرا من اسماء الملوك وألقابهم مما يمكن تتبعه تاريخياً. إلا انه بقي جزء من هذه النصوص لم يتمكن (Grotefend) من فكها

التقدم اللاحق حصل بمساعدة الأبحاث في مجال اللغات القريبة من الفارسية، الافستية والسنسكريتية، من خلال الفلولوجي النرويجي (Christian Lassen) والتي طبقت على

اللغة الفارسية، كذلك كانت الاسماء عاملاً مساعداً، وقد أضيف لاحقاً مواد نصية جديدة، وهي ما قام الباحث البريطاني (Henry Creswicke Rawlinson) بنقله (تفريغه) ونشره في 1846– 1851 م والتي عرفت بنقوش بيستون الثلاثية المكتوب بالفارسية والعيلامية والبابلية، وبعد فك رموز الكتابة الفارسية أمكن فك العيلامية والبابلية ، وايضاً هنا وجدت اسماء أمكن من خلالها اتمام الرموز الناقصة حيث حدد 18 علامة وهو أول من تكلم بالكتابة المقطعية. وبهذا اصبح (H. Rawlinson) يلقب بباني علم الاشوريات. (Wikipedia2009)

قُبيل المسمارية (proto cuneiform)

التغيرات النوعية والكمية في مجال الاستقرار وانتاج الغذاء التي تنامت في منطقة غرب آسيا، منذ النطوفي مروراً بالعصر الحجري الحديث، وصولاً إلى المدن، ترافقت مع تنامي وزيادة في التعقيد وابتكارات جديدة في مجال التواصل. وكون أقدم وأغلب الكتابات ذات محتوى اقتصادي، من مواضيع العد والاحصاء وتوثيقها، يقود للبحث عن بداية الكتابة في انظمة العد والأرقام.

بدأت دراسة أنظمة الحساب والعد في العام 1930 م مع اكتشاف (Julius Jordan) لمجسمات طينية صغيرة (Tokens) يمكن تسميتها القطع الدالة مع رقم طينية عليها رسوم (كتابات تصويرية) في أوروك فسر ماعليها بأنه نوع من التسجيل لعمليات تجارية، وقدأكتشف(Braidwood) 1948–1955 م في "جرمو" مجموعة من القطع الدالة تعود للنصف الثاني من الألف السابع ق.م (2008 Escola Finaly)

كذلك كشفت التقيبات التي أجرتها المدرسة الامريكية للدراسات الشرقية في "نوزي" بين 1927– 1930 م نماذج من هذه القطع الدالة فسرت لاحقاً على أنها مواد إجراء عمليات حسابية وتوثيق سجلات، حيث اكتشفت حافظة طينية (Bullae) منقوش على سطحها الخارجي لائحة لعدد من الحيوانات وفي داخلها قطع دالة بنفس العدد المسجل

حافظة طينية من نوزي منتصف الألف الثاني ق.م عن (2008 Escola Finaly)

في منتصف الستينات عثر (P.Amiet)على مجموعة من هذه الحافظات والقطع الدالة في "سوسه" وأثبت أنها تمثل نظام حسابات.

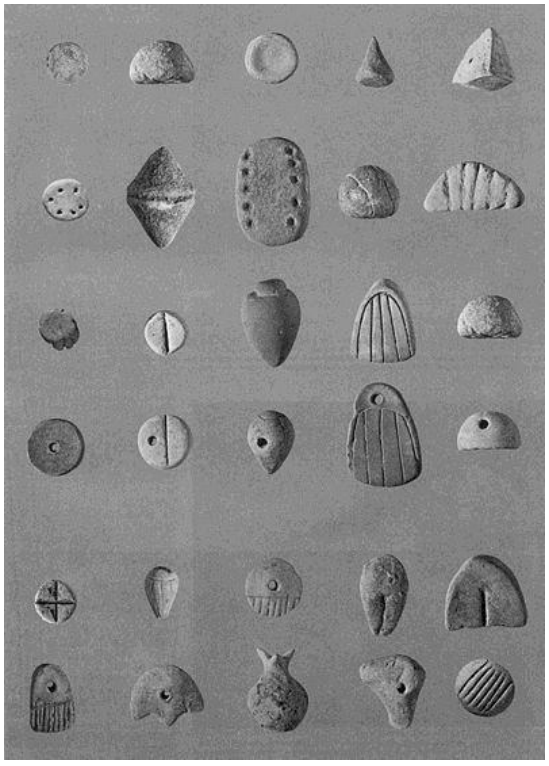

قطع دالة طينية من سوسه الألف الرابع ق.م عن (2008 Escola Finaly)

فرضية Denise Schmandt-Besserat

قامت الباحثة D. S.Besserat بتقصي واسع للقطع الدالة، وبينت أنها تنتشر في المنطقة ما بين شرق الهضبة الايرانية إلى الأنضول مرورا بالهلال الخصيب حتى وادي النيل،

وأن استعمالها يبدأ بين الألف التاسع والألف الثامن ق.م ويزداد بشكل ملحوظ في الالف السابع ق.م . وأن بعضها يمثل مواد للاستهلاك وبعضها الآخر عدداً (رقم) معيناً. ثم قامت الباحثة بمقارنة القطع الدالة القديمة بالأحدث المكتشفة في "سوسه" لتخلص إلى فرضية، أن قديمها وحديثها يمثل نظام حساب وتسجيل، انتشر في مناطق بدأ الاستقرار ونشوء اقتصاد الزراعة والتدجين. (2008 Escola Finaly)

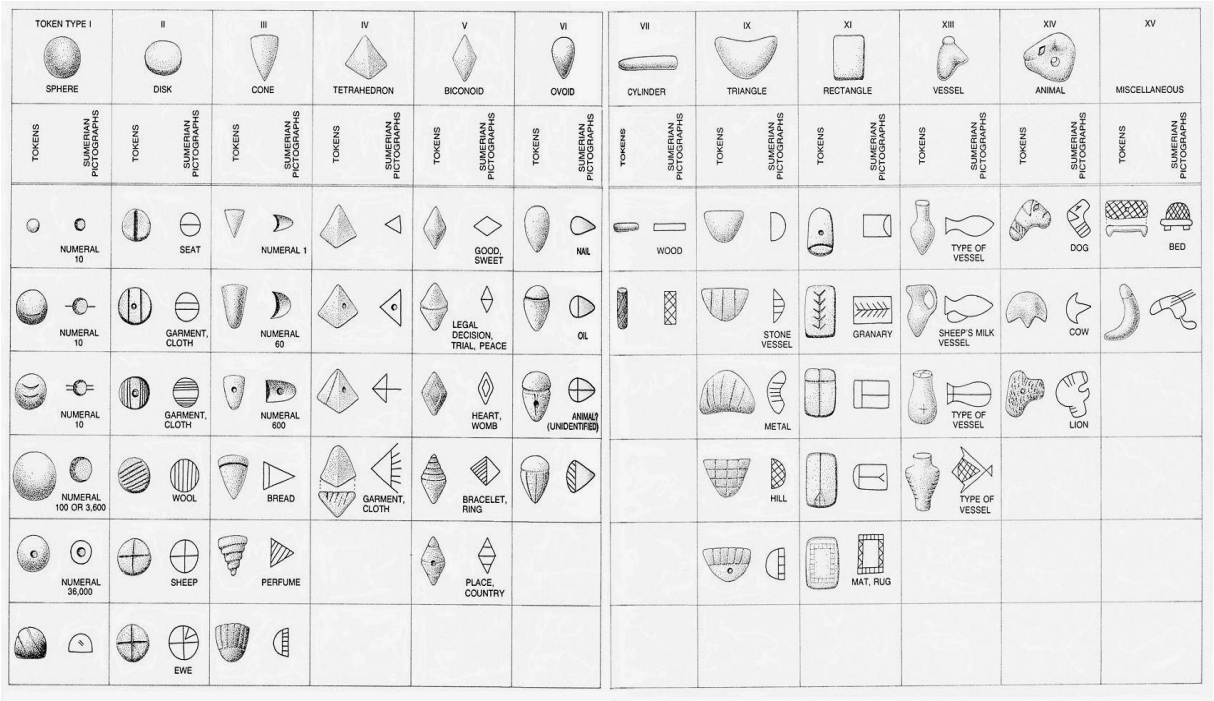

جدول يبين القطع الدالة وما تشير إليه عن (2008 Escola Finaly)

لقد كان بعضها مثقوباً مما دعى الباحثة لفتراض أنها كانت تربط معاً لتشكل نوع من صفقة وسجلها، ولاحقاً وضعت في حافظات طينية وختمت بختمين مختلفين (طرفي الصفقة) كما بين اكتشاف العديد من هذه الحافظات. (2008 Escola Finaly)

في الألف الرابع ق.م ومع التغيرات الجذرية التي حدثت في نمط الاجتماع البشري عبر ظهور المدن. وما رفقها من زيادة في الانتاج وتبلور لأشكال سلطة تراقب العملية الاقتصادية، زاد الاعتماد على القطع الدالة وتعددت أشكالها، فقد عثر في "أوروك" و"فاره"و"سوسه"و"حبوبة الكبيرة" على 660 قطعة تؤرخ بنهاية الألف الرابع ق.م . وقد

وضعت هذه القطع الدالّة في الحافظات الطينية، وأُغلقت الحافظة ووضع ختم على سطحها لإظهار شرعيتها، ولتكون بذلك نوع من السجل في عمليات التبادل والخزن والنقل.

إلا أن مشاكل هذه الخطوة تكمن في ضرورة كسر الحافظة لمعرفة محتواها وبالتالي ضياع السجل.

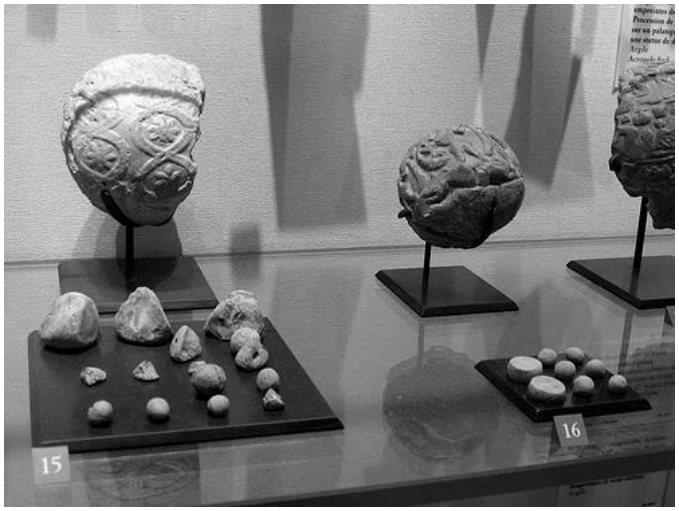

حافظات مع قطعها الدالة (اللوفر) (1)

وكان حل هذه المشكلة بطبع (غرس في الطين) القطع الدالة الموضوعة داخل الحافظة على سطحها مع الختم وإغلاقها.

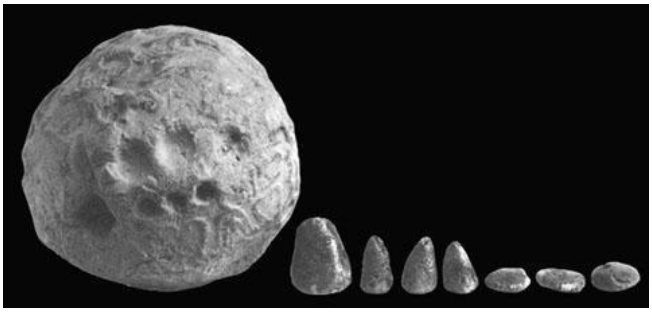

قطع دالة وطبعاتها على الحاوية الطينية عن (2008 Escola Finaly)

ولاحقاً اصبحت القطع الدالة تطبع على لوح طيني (رُقم) وتم التخلي وبذلك تم التخلي عن شكل الحافظة الطينية إلى ما يعرف برقم المطبوع عليه علامات القطع الدالة .

طبعات القطع الدالة على لوح طيني (2)

ثم وفي خطوة لاحقة أخذت الرسومات التي تقلد آثار طبعات القطع الدالة تحل محل الطبعة ذاتها تدريجياً وإن بقي الاسلوب القديم من وجود القطع الدالة معمول به احياناً.

وبالتالي لم تعد هناك حاجة بعد ذلك للقطع الدالة، وإنما تم الاكتفاء بطبعاتها أو الرسوم الدالة عليها. ومنه أصبح من الممكن أن يكون الرسم على لوح مسطح ولا حاجة للحافظة الطيينية، ومن ذلك نشأت أولى رقم التدوين وذلك بين 3500 و3200 ق.م (Escola Finaly 2008)

وأدناه جدول يبين تطور التوثيق من القطع الدالة إلى طبهاتعا– رسمها إلى رموز مسمارية تمثلها .

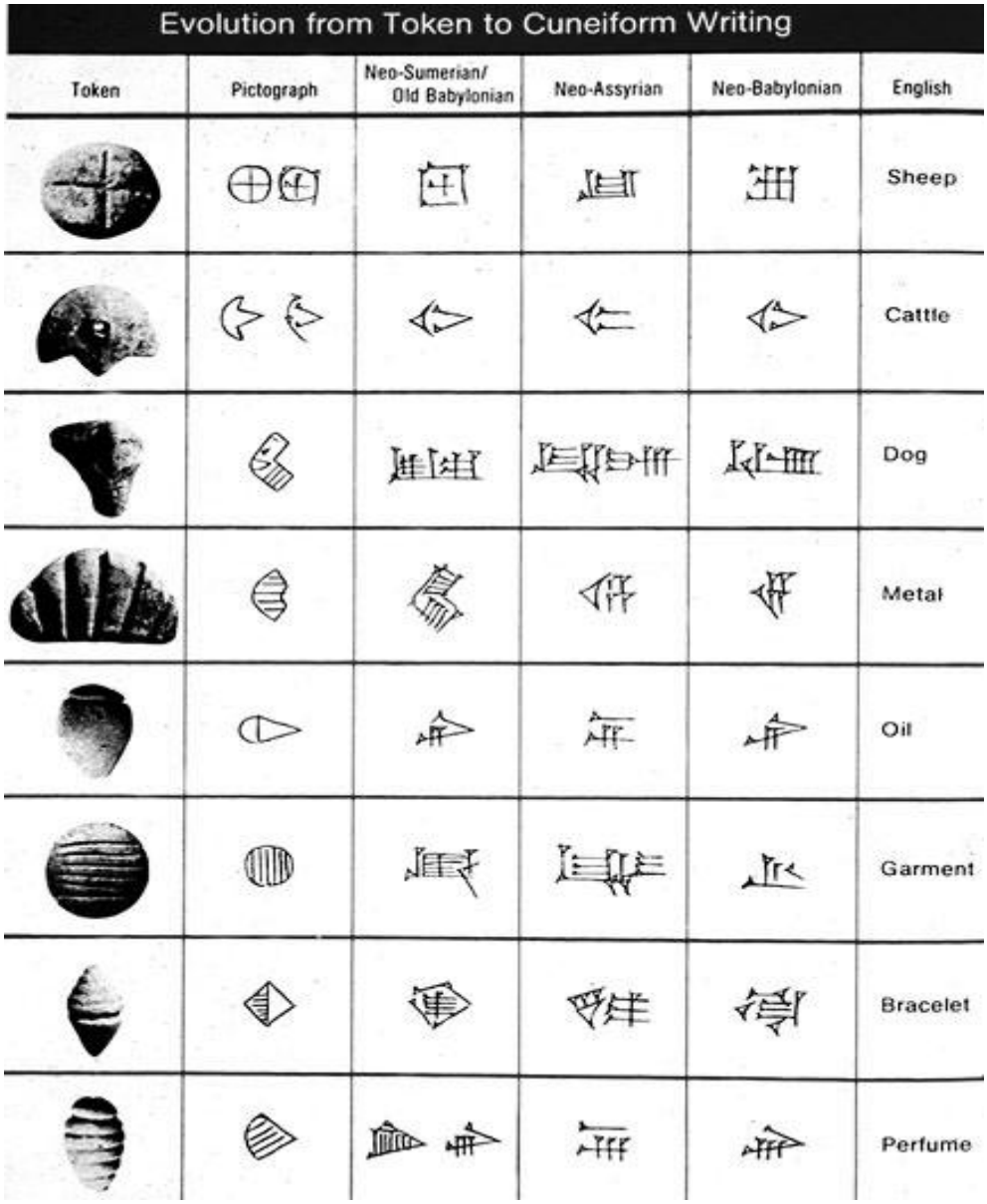

من القطع الدالة إلى المسمارية (3)

المرحلة التصويرية (Pictographic)

إن الكتابة في هذه المرحلة لا تعبرعن اللغة، فالأشكال المرسومة يمكن أن يُعبر عنها بأي لغة كانت.

لقد عثر على هذه الكتابات في اوروك IVa وعديد من المواقع الاخرى وهي تمثل حزاً (أو سحباً على الطين الطري) بأدات (قلم) على ألواح طينية، والرسومات عبارة عن

أشكال تحاكي الاشياء المادية المراد الاشارة إليها أو نوع من الرموز كرسم القطع الدالة التي سبق وطبعت على الألواح فيما سبق.

رسوم تصويرية على رقم من كيش (3500 ق.م) عن (Wikipedia2009)

كانت محتويات هذه النصوص اقتصادية بنسبة 85% تسجل تعاملات معبد "انا" في اوروك حيث وجدت غالبيتها، والأخرى ذات محتوى مدرسي تعليمي (الجميلي2005: 19)

وبهذا يكون لدينا أصلين للصور المرسومة إما رسمة مباشرة للشيء المراد التعبير عنه (كالرأس مثلاً)، أو رسم آثار طبعات القطع الدالة.

1- الكتابة التصويرية حوالي 3000 ق.م، 2- التدوير حوالي 2800 ق.م، 3- تجريد (تحوير) الصورة في النقوش الحجرية 2600 ق.م، 4- تجريد معاصر للخطوة (3) لكن على الألواح الطينية، 5- العلامات في نهاية الألف الثالث، 6- العلامة كما وجدت في النصوص الآشورية من بداية الألف الثاني ق.م، 7- العلامة في النصوص الآشورية في الألف الأول ق.م عن (Wikipedia2009)

مع بداية عصر جمدة نصر ومع الانتشار الاوسع للكتابة، حدث تغييرات على تقنية الكتابة منها اتجاه رسم الاشكال، بحيث استدارة 90° ، ربما بسبب بري أداة الحز (القلم) بحيث قطعت بشكل مائل مما يعطي مقطعاً حاداً لكنه بنفس الوقت اسهل للكتابة بجهة المقطع الافقية (الخوري2002: 62)

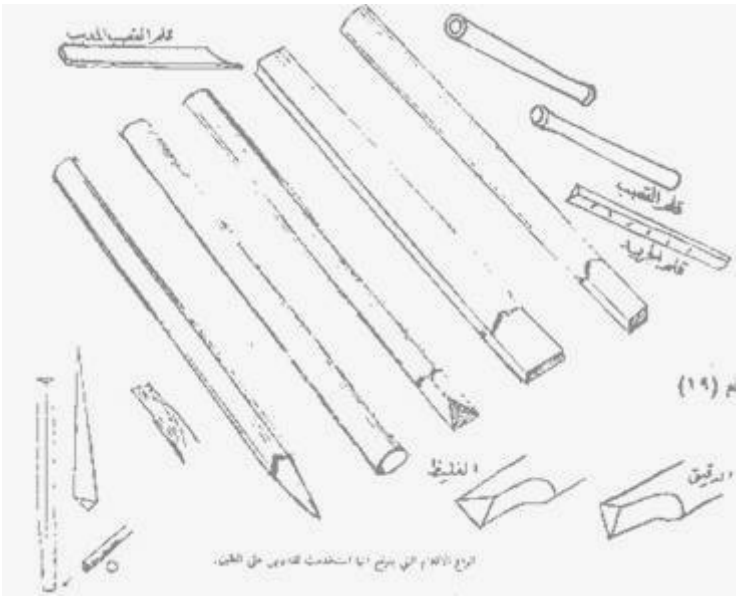

ادوات الكتابة عن(الجميلي2005: 182)

كذلك كان لهذه الأداة (القلم) دوراً حاسماً في الكتابة بحيث اصبح هذا القلم يطبع من جهته الحادة ليعطي مقطعه علامات تشبه المسامير(من هنا اسم المسمارية) يعطي مجموعها شكلاً يقارب الرسمة المرادة، كما في ألواح اور وشوروباك المؤرخة بحوالي 2700 ق.م (الخوري2002: 64) .

لقد كان للعلامات المسمارية التي تحاكي الرسمات أعداد كبيرة في بدايتها، وكانت هناك محاولات لختزالها وذلك بدمجها ببعضها لتشكل كلامات جديدة مثل " دمج العلامة [لُ lu] التي تعني رجل والعلامة [كال gal] التي تعني عظيم، لتكوين علامة جديدة [لوكال lugal] التي تعني (ملك) أو (رجل عظيم)" (الجميلي2005: 23)

إلا أنه كانت هناك حاجة لتدوين أشياء أكثر تعقيداً مما اقتصرت عليه عمليات التدوين السابقة، وبالتالي تم تفصيل هذه العلامات، بزيادة ملحقات عليها، "، فمثلاً العلامة التي تدل على الرأس، زيد عليها عدد من الخطوط والتفاصيل الأفقية فتكونت علامة جديدة تشير إلى الفم، وإذا زيد عليها علامة صغيرة تدل على الخبز" (الجميلي2005: 25)

المرحلة الرمزية (Ideographic)

بقية العلامات المسمارية التي تحاكي الرسم قاصرة عن التعبير عن الفكر، مما دعى إلى تفعيل وتطوير الاسلوب الرمزي الذي وجد بشكل أو بآخر في المراحل السابقة، بحيث أصبحت الصورة لا ترتبط مباشرة بمحتواها الشكلي وإنما أضحت رمزاً يحمل معناً من أفعال وصفات متفق عليها، قريبة نوعاً ما من الشكل المرسوم واحياناً بعيد عنه، فكثير من الكلمات (الرموز) نشأت عن دمج هذه العلامات التصويرية البسيطة لتصبح رمزاً، "فالدموع عُبر عنها بعلامة عين وماء و أميرة بعلامة إمرأة وحُلي، والعقوبة بالعصى واللحم، وجبال وإمرأة تعني الجبلية (خادمة – عبدة) لأن السومرين جلبوا الخدم من المناطق الجبلية، وجراد عبر عن الجراد نفسه وعن الدمار (حيث صورة الجراد في حقولهم كانت حاضرة في الذهن)، والنجمة عبرة عن عدة معاني فهي النجوم وكذلك السماء (آن) والرب (دِنجِر) أيضاً" (Wikipedia2009)

المرحلة الصوتية (Phonetic)

وتسمى أيضاً المرحلة المقطعية وهي من أهم مراحل تطور الكتابة، ففي هذه المرحلة أضحت الكتابة قادرة على التعبير اللغة وذلك من خلال استخدام منطوق العلامات المرسومة من أصوات في كتابة كلمات لا علاقة لها من حيث شكل العلامة المرسومة بالمعنى المراد التعبير عنه، وإنما يجمعها اللفظ، فالرسم الذي يمثل نهر مثلاً يعبر عن الماء بالسومرية [آ] لكن هذا الصوت يعني في نفس الوقت [في]، وبدل من رسم أشارة جديدة لتعبر عن [في]، استخدم السومريون العلامة التصويرية لنهر في معنها النطقي [آ] كـــ [في]، وكون هذه الطريقة السريعة أستخدمت عادة، طغى بالنهاية المعنى اللفظي على العلامات (Wikipedia2009)

و"العلامة[ ] التي كانت تلفظ خَ وتعني بالسومرية حسب الطريقة الصورية (سمكة) غدت تستخدم وفق الطريقة الصوتية، مقطعاً صوتياً لكتابة أية كلمة يدخل في تركيبها المقطع الصوتي [خَ]. مثل اسم الملك حمورابي، فأصبحت العلامات أشبه بالحروف الأبجدية التي نستخدمها الآن في كتابة أية كلمة والاختلاف بين الحروف الأبجدية وقيم

العلامات الصوتية أن الحرف الأبجدي يمثل صوتاً منفرداً (consonant) في حين يمثل المقطع الصوتي صوتاً صامتاً مع حرف علة، قبله أو بعده مثل [مَ ma] و[مِ mi] و[مُ mu] و[اَم am] و[اِم im] و[اُم um]...، وقد يكون مؤلفاً من حرفين صامتين بينها حرف علة نحو: [لِيل lil] و[دَم dam] و[نَن nan] .... أو من حرفين من حروف العلة بينها حرف صامت نحو: [اَبَ aba] و[اُدُ udu] و[اُرُ uru] وغيرها. فإذا أراد الكاتب أن يكتب اسم الملك حمورابي مثلاً، كان عليه أن يجزئ الاسم أولاً إلى عدد من المقاطع الصوتية، فلاسم حمورابي يمكن تجزئته إلى المقاطع [خَ . مُ . رَ . بِ ha.mu.ra.bi]. ثم يبدأ بالبحث عن العلامات الصورية أو الرمزية التي تلفظ مثل لفظ هذه المقاطع دون الالتفات إلى معانيها، ويضع بعضها إلى جانب بعضها الآخر ويقصد منها قيمها الصوتية فقط لكتابة الاسم حمورابي لذا يمكن كتابة الاسم بالعلامات الآتية:

[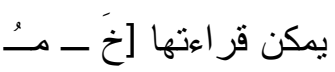] التي يمكن قراءتها [خَ ــ مــُ ــ رَ ــ بِ]

ولو كانت معاني هذه العلامات الصورية الرمزية هي:

سمكة [خَ،ha]+ اسم [مُ،mu]+ ضرب [رَ،ra]+ شراب [بِ،bi]،

ولكي يمنع الالتباس على القارئ السومري أو الأكدي استخدم بعض وسائل الإيضاح ليوضح للقارئ أن المقصود من كتابة هذه العلامات هو كتابة اسم شخص مذكر فوضع علامة خاصة (العلامات الدالة determinatives) تعني رجلاً قبل مجموعة العلامات التي تمثل الاسم." (الجميلي2005: 28)

تدوين السومرية:

"كانت الطريقة الصوتية (أو المقطعية)، الجديدة ملائمة جداً لكتابة اللغة السومرية بما فيها من أسماء وأفعال وصفات وأدوات نحوية إذ إن اللغة السومرية لغة ملصقة (agglutinative) ، أي أن جذر الكلمات، وكان غالباً أحادي المقطع، يبقى دون تغير عند تغير الصيغة الزمنية أو شخص الفاعل بل يزاد إلى العلامة التي تعبر عن الاسم أو الفعل مقاطع صوتية أخرى قبل الاسم أو الفعل أو بعده ليحدد المعنى المطلوب كما أن

العلامات الصورية والرمزية كانت تمثل في الواقع مفردات اللغة السومرية نفسها إذ إنها وجدت أصلاً للتعبير عن المفردات السومرية، إذ إن معظم مفرداتها تتألف من مقاطع أحادية، أي أن الأسماء والأفعال فيها يتألف كل منها من مقطع صوتي واحد، وكان قد خصص لكل مفردة سومرية تقريباً علامة خاصة استخدمت أول الأمر بالطريقة الصورية أو الرمزية، ثم استخدمت قيم تلك العلامات الصورية لكتابة كلمات جديدة يدخل في تركيبها تلك المقاطع الصوتية

لذا لم يكن ضرورياً استخدام الطريقة الصوتية عند كتابة معظم المفردات اللغوية السومرية لما كان هناك علامة صورية أو رمزية تعبر عن تلك المفردات إلا أنهم استخدموا الطريقة الصوتية عند كتابة أسماء الأعلام والأسماء المعنوية والأدوات النحوية وسوابق الاسم والفعل ولواحقها وإلى غير ذلك من الكلمات والأدوات التي لا يوجد بين العلامات المسمارية ما يعبر عنها. ولم يكن هناك صعوبة كبيرة في ذلك إذ ضمت العلامات المسمارية الصورية والرمزية مختلف الأصوات الموجودة في اللغة السومرية وكان بالإمكان كتابة أي اسم أو أداة بانتخاب العلامات المسمارية التي تمثل قيمتها الصوتية ذلك الاسم أو الأداة." (الجميلي2005: 32)

تدوين الاكادية:

إن انتقال السيادة السياسية بعد عصر دويلات المدن السومرية إلى اكاد وتأسيس دولة مركزية على يد سرجون الاكادي، جلب معه صعوبة تدوين لغة الحكام الجدد، وهي الاكادية المختلفة عن السومرية من حيث البنية والنطق، فالاكادية لغة "سامية" تحتوي على اصوات صامتة والتركيب النحوي يتغير بإضافة حروف على جذر الكلمة في أولها أو أخرها أو منتصفها حسب الحالة النحوية، مما اضطر الكتبة إلى اعتماد وسائل متعددة لتدوين اللغة الاكادية منها:

1 ــ اعتمد الكتبة الطريقة الصوتية بالدرجة الأساس لتدوين اللغة الأكدية واستخدموا قيم العلامات الصوتية مقاطع لتدوين المفردات الأكدية، فكان الكاتب يجزئ الكلمة الأكدية

إلى عدد من المقاطع الصوتية ويحاول أن يجد علامات مسمارية فيها قيم صوتية مشابهة لأسلوب لفظ المقاطع الخاصة بالمفردة الأكدية.

2 ــ استخدم العلامات المسمارية بمعانيها الصورية أو الرمزية أيضاً وبخاصة في الحقب المبكرة، ومما يلاحظ أن الكاتب قد كتب بعض الكلمات بالطريقة الرمزية، في حين كتب الكلمات الأخرى وفق طريقة الصوتية. أما كيف كان يقرأ الكاتب الكلمات التي دونت بالطريقة الرمزية وهل أنه كان يقرأها بالسومرية أم أنه كان يقرأ ما يقابلها بالأكدية؟ يبدو من الأمثلة الكثيرة التي وردت في النصوص أنه كان يقرأها بالأكدية إذ غالباً ما كان يضع النهايات الصوتية بعد العلامات المستخدمة وفق الطريقة السومرية، وهي نهايات خاصة بكلمات أكدية. وبمرور الوقت تزايد استخدام الطريقة الصوتية في الكتابة وتقلص استخدام العلامات الرمزية إلا في العلامات التي تدل على أشياء مادية.

3 ــ التعبير عن الأصوات الحلقية والمفخمة التي تزخر بها اللغة الأكدية:

3–1. استخدموا المقاطع الصوتية التي تضم أصواتاً مخففة لتدوين الأصوات الأكدية المفخمة أيضاً مثل استخدام المقطع الذي يضم صوت [س= s] المخفف لتدوين المقطع الأكدي الذي يضم صوت [س] وصوت [ص] وصوت [ز]، والمقطع الذي يضم الصوت [د أو ت]، أصبح يستخدم لتدوين الصوت [ط] كذلك، والمقطع الذي يستخدم لتدوين صوت [ك]، أصبح يستخدم لتدوين الصوت الأكدي [ق] وهكذا.

3–2. استعيض عن لأصوات الحلقية مثل صوت العين والحاء والهمزة–غيرالموجدة في السومرية – بعلامات تضم أصواتاً قريبة منها حيث النطق "فمثلاً عبروا عن صوت الحاء [ح] أو العين [ع] بأحد حروف العلة بـــ [e] أو [ا]، أو الحركة القصيرة المماثلة لهذين الحرفين [ا e] و[اِ ا] أما صوت الهمزة الأكدي فقد خصصوا له علامة مسمارية مستقلة على النحو الموضع في الأمثلة الآتية المقتبسة من قانون حمورابي:

المقابل العربي	اللفظ	جذور الكلمة	**الصيغة الأكدية كما في قانون حمورابي**
حدث	حدث	ح د ش	Edišh
عشرة	عشرة	ع ش ر	Ešru
حقل	حقل	ح ق ل	Eqlu
على	الو	ع ل ي	Elu
عين	اين	ع ي ن	Inu
نهر	نار	ن هـ ر	Narn

وكما يلاحظ أننا استعضنا عن صوت الحاء والعين بحرف العلة [a أو i أو e] " (الجميلي2005: 35)

3-3. "أضاف الكتبة قيماً صوتية للعلامات الرمزية التي كانت تلفظ بالسومرية وهذه القيم الصوتية الجديدة تمثل أسلوب لفظ العلامة الرمزية باللغة الأكدية، وبذلك زاد عدد قيم العلامة الرمزية الصوتية، فأصبح للعلامة المسمارية التي تقرأ [e] بالسومرية وتعني بيت، قيم صوتية جديدة بعد ان استخدمت لتدوين اللغة الأكدية، إلى جانب استخدامها علامة رمزية للدلالة على الاسم (بيت)، بالأكدية [بيتُ]. وينطبق ذلك على الكثير من العلامات المسمارية التي كانت تستخدم منذ العصور السومرية المبكرة وظلت تستخدم عند تدوين اللغة الأكدية إلا أنها اكتسبت قيماً صوتية ومعاني رمزية ، وبذلك زادت القيم الصوتية للعلامات وزاد معها تعقيد الكتابة المسمارية وصعوبة حفظها وتعلمها.

3-4. رغبة في استحداث مقاطع صوتية جديدة للعلامات المسمارية لتدوين اللغة الأكدية، استخدم الكتبة العلامات المسمارية القديمة للدلالة على مقاطع صوتية جديدة نحو:

العلامة المسمارية [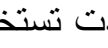] كان لها قيمة صوتية هي[لخُ] وغدت تستخدم للدلالة على المقاطع الصوتية القريبة من هذا المقطع باستثناء الحركة نحو:[لِخ] و[لَخ]

والعلامة المسمارية [ ] التي كانت تستخدم للدلالة على المقطع الصوتي [سَخ] غدت تستخدم للدلالة أيضاً على المقطع الصوتي[سُخ] و[سِخ] " (الجميلي2005: 37). وبالنتيجة أضحى للعلامات المسمارية في المرحلة الأكادية وما يليها من بابلية وآشورية بالإضافة لمحتوياتها الشكلية (الصورية) والرمزية قيم صوتية متعددة ومعاني جديدة متعددة أيضاً، مما أدى لتعقيد الكتابة وصعوبة تعلمها خصوصاً باتباع الكاتب أساليب عدة في التدوين في النص الواحد أحياناً.

4- تم استخدام تقنيات مساعدة قديمة في تدوين الاكادية منها:

4-1."العلامات الدّالة Determinatives

علامات توضع قبل وأحياناً بعد العلامات المسمارية الخاصة بالأسماء، لتحدد نوع الاسم أو ماهيته والمعنى المقصود منه، في حال لتلك العلامة أكثر من معنى واحد. "فالعلامة التي تدل على الخشب، (وهي العلامة [ ] التي كانت تقرأ بالسومرية [GIŠ] وبالأكدية [اِصُ] وتعني شجرة) إذا وضعت أمام أية علامة مسمارية أو مجموعة علامات عرف أن تلك العلامة أو العلامات تدل على اسم شيء مصنوع من الخشب" (الجميلي 00).

وإن كان استخدام العلامات الدالة قد بدأ منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد بشكل محدود، فقد زاد استخدامها منذ العصر الأكدي فصاعداً كما زاد عددها ويظن أن هذه العلامات كانت تكتب فقط ولا تقرأ لما كانت الغاية منها توجيه القارئ إلى المعنى المقصود من العلامات فحسب.

وعند تدوين اللغتين السومرية والأكدية بالحرف اللاتيني أو العربي عمد الباحثون إلى كتابة مختصر لفظ العلامة الدالة ووضعت غالباً بين قوسين وطبعت فوق مستوى الكتابة الاعتيادية لبيان حقيقة أن هذه العلامات كانت تكتب ولا تقرأ وكما في المثال الآتي:

Šar $^{(kur)}$ Aššur $^{(ki)}$ mi – gir ilani $^{(meš)}$ rabuti $^{(meš)}$

[شَر (كُر) اشور (كِ) مَـــ ـــ جرِ اِلانِ (مش) رَبوتِ(مش)]

بمعنى [ملك (بلاد) آشور(أرض)... المفضل (كل) الآلهة العظيمة (كل)].

فالعلامات كُر = kur وكِ ki ومش meš التي تعني بلاد وأرض وأداة جمع على التوالي.

4 2. النهايات الصوتية Phonetic Complements

علامات ذات محتوى صوتي لفظي تساعد في تمييز المقاطع ذات الدلالات المتعددة من خلال إضافتها على نهاية المقطع المراد تمييزه

"فمثلاً إذا أراد الكاتب أن يعبر عن الكلمة سماء، وهي بالأكدية [شيمُ Šimu] فإن العلامة المسمارية المستخدمة عادة للدلالة على السماء كانت[ ] ، وهي علامة لها معان وقراءات عدة منها:[اِلُ ilu] بمعنى إله وبالسومرية [DINGIR] بمعنى إله أيضاً وقد تعني العلامة الإله [آنو] إذا جاءت متفردة وتقرأ بالسومرية [AN]. فإذا كتب الكاتب بعد هذه العلامة العلامة التي تلفظ [م mu] وهو المتمثل بالعلامة المسمارية[مُ] أصبح واضحاً للقارئ أن المقصود من[ ] هو كلمة التي تنتهي بالمقطع[مُ mu] أي[شيمُ šimu] وليس [آنو AN] أو [اِلُ ilu] أو غيرها من القراءات والمعاني.

واستخدمت النهايات الصوتية على نطاق واسع لبيان حالة الاسم الإعرابية، فغالباً ما تكتب الأسماء بالأسلوب الرمزي والعلامة الرمزية لا تعبر عن حركة الاسم الإعرابية أهي الفتحة أم الكسرة أم الضمة فإذا وضع الكاتب بعد العلامة الرمزية المقطع الصوتي الذي يشير إلى حركة الإعراب مع التمييم أو بدونه عرف القارئ موقع الكلمة من الإعراب وهكذا نجد أن أكثر العلامات الرمزية المستخدمة للدلالة على الأسماء يعقبها أحد المقاطع الثلاثة الرئيسة التي تدل على حركة الإعراب والتمييم وهي[امُ um] و[اَم am] و[اِم im].

وكما هي الحالة بالنسبة للعلامات الدالة، يظن أن النهايات الصوتية كانت تكتب للإرشاد فقط إذ إن العلامة الرمزية كانت تقرأ كاملة مع حركة الإعراب، كما تشير إليها النهاية الصوتية " (الجميلي2005: 42).

خاتمة:

لقد حقق استخدام الكتابة المسمارية نوعاً من السبق الحضاري لسكان بلاد الرافدين ضمن محيطهم في الشرق القديم منذ عصر دويلات المدن، وزاد استعمال الكتابة مع توسع السيادة الاكدية ومعها اللغة والثقافة والكتابة حيث وصلت المعرفة بالكتابة المسمارية إلى شمال بلاد الشام في مملكة إبلا، التي وظفتها لكتابة اللغة الإبلاوية السامية أيضاً.ومنذ 2500 ق.م حلت المسمارية محل الاشارات القُبيل عيلامية في منطقة عيلام المجاورة لسومر ، حيث بقيت في الاستعمال حتى 331 ق.م. وتبنى الحثيون الناطقين بلغة من العائلة الهندوأوربية هذه الكتابة ، وبهذا انتشرت الكتابة المسمارية شمالاً مع اللغة الأورارتية حتى مناطق أرمينيا، وجنوباً حتى فلسطين مع اللغة الكنعانية، لقد كانت رموز الكتابة المسمارية المعتمدة على الصوت قادرة على التكييف بحيث استخدمت في تدوين الاكادية والبابلية والآشورية، وعندما اعتلى حمورابي البابلي عرش بابل وقام بمد سلطته على كامل بلاد الرافدين وكثير من المناطق المحيطة بها، زاد ذلك من عملية نشر الثقافة الرافدية وخصوصاً الكتابة.ولكن الانتشار الفعال تم في عهد السيطرة الآشورية، وذلك من نهاية الدولة البابلية القديمة و حتى القرن السابع قبل الميلاد، بحيث غطت كامل الهلال الخصيب، وفي هذا الفترة أخذت الكتابة المسمارية شكلها النهائي.

مع بداية القرن الثامن بدأ نظام كتابة جديد يتوسع وهو النظام الابجدي(كالأبجدية الفينيقية) مما أذن ببدأ نهاية الكتابة المسمارية تدريجياً.مع أن آخر نص معرف مكتوب بالمسمارية عبارة عن جدول فلكي من العام 75 م مكتوب باللغة الفارسية (Wikipedia2009).

كتابة هادي العمشة، عمان 2009

مصادر:

-الجميلي، عامر2005:الكاتب في بلاد الرافدين القديمة.دمشق،اتحاد الكتب العرب

-الخوري،موسى 2002: قصة الأرقام.دمشق، وزارة الثقافة

-صورة (3) عن
(http://www.utexas.edu/courses/classicalarch/images1/tokentocuneiform.jpg)

-الصور(1) و (2) عن
http://static.cdli.mpiwg-berlin.mpg.de/web/collections/syria/index_e.html

- The earliest precursor of writing : Escola Finaly,18.09.2008
(http://en.finaly.org/index.php/The_earliest_precursor_of_writing)
- Keilschrift : Wikipedia,09.04.2009
(http://de.wikipedia.org/wiki/Keilschrift)
- Cuneiform script: Wikipedia,20.04.2009

http://en.wikipedia.org/wiki/Cuneiform_script